كتاب تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الكشاف للزمخشري

تأليف: جمال الدين الزيلعي

من أول سورة الفاتحة إلى نهاية سورة المائدة

رسالة مقدمة لاستكمال الدراسات العليا الشرعية
فرع الكتاب والسنة - مرحلة الدكتوراة

دراسة وتحقيق

علي عمر أحمد بادحدح

إشراف
الأستاذ الدكتور
عبد المجيد محمود عبد المجيد

المجلد الأول

١٤١٦هـ - ١٤١٧هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن والاه ، وبعد

فإن عنوان الرسالة هو " **كتاب تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الكشاف للزمخشري – تأليف : جمال الدين الزيلعي – من أول سورة الفاتحة إلى نهاية سورة المائدة – دراسة وتحقيق** "

وقد قمت بتقسيم الرسالة إلى ثلاثة أقسام على النحو التالي :

القسم الأول : الدراسة : واشتملت على ثلاثة أبواب ، **الأول** : تضمن لمحة عن عصر الزمخشري ، وملخصاً لترجمته ثم بياناً للبلاغة والاعتزال في الكشاف ، وبعد ذلك بسط القول عن الحديث في الكشاف ، **والثاني** : عرضت فيه ملامح عصر الزيلعي ، وفصلت القول في ترجمته من خلال حياته الشخصية ثم العلمية ، **والثالث** : جعلته لدراسة الكتاب فعرفت به مثبتاً اسم الكتاب وصحة نسبته للمؤلف ، وموضوعه ، وسبب تأليفه ، ثم حصرت مصادره وعرضتها ، وبعد ذلك بينت منهجه في عرض مادة الكتاب ، وأتبعته بشرح منهجه في التخريج ، ثم شرح منهجه في النقد ، وإثر ذلك عرضت الفوائد الأخرى سوى التخريج والنقد ، وختمت الدراسة ببيان أهمية الكتاب وتأثيره .

القسم الثاني : النص المحقق : جعلت له مقدمة ذكرت فيها النسخ المخطوطة وأوردت نماذج منها وأوضحت خلالها عملي في الكتاب ثم حققت فيه نص الكتاب من أوله إلى نهاية سورة المائدة من خلال ثلاث نسخ مخطوطة ، مع الرجوع إلى المصادر لتصويب التصحيفات واستدراك النقص كما وثقت إحالات المؤلف إلى مواضعها في المصادر المطبوعة والمخطوطة ، وعلقت على ما يخدم النص من بيان معاني الغريب ، وأسماء المواضع وأماكنها ، وتراجم الرجال ، وشرح ما كان فيه وهم أو اختلاف ، وحرصت على الحكم على الأحاديث والآثار من كلام المصنف أو استدراك ابن حجر أونقلاً عن العلماء أوبحثاً واجتهاداً مني .

القسم الثالث : الملاحق والفهارس : إذ جعلت في آخر الرسالة **ثلاثة ملاحق** ، **الأول** : ثبت مصادر الكتاب ومواضعها ، **والثاني** : الأحاديث والآثار الساقطة ، **والثالث** : الأحاديث والآثار المشتركة بين الكتاب وكتاب الفتح السماوي في تخريج أحاديث البيضاوي .

أما الفهارس فقد فصلت بين فهارس قسم الدراسة ، وفهارس النص المحقق ، وجعلت لكل منهما **أربعة فهارس** هي : فهرس الآيات ، فهرس الأحاديث القولية والفعلية ، فهرس الآثار ، فهرس الأعلام .

وذكرت في الخاتمة أكثر النتائج التي توصلت إليها أهمية وهي :

١- إبراز ضعف الزمخشري وقلة بضاعته في علم الحديث وإثبات ذلك بأدلة وأمثلة كثيرة من الكشاف . ٢- إبراز شخصية الإمام الزيلعي وتفصيل القول في شيوخه ومؤلفاته . ٣- إثبات اسم الكتاب والاجتهاد في تعليل تخريج الزيلعي لأحاديث الكشاف . ٤- تتبع الأحاديث والآثار الساقطة التي فات الزيلعي ذكرها وتخريجها . ٥- حصر مصادر الكتاب وتوثيق مواضعها في الكتاب كله . ٦- تتبع وتحديد منهج الزيلعي في العرض والتخريج والنقد في الكتاب . ٧- بيان عناية الزيلعي بمسألة الاحتجاج بالحديث الشريف في اللغة من خلال استعمالات الزمخشري في الكشاف . ٨- دللت على أولية الكتاب وسبقه في تخريج أحاديث وآثار التفسير . ٩- بينت اعتماد كثير من كتب تخريج أحاديث وآثار التفسير على كتاب الزيلعي . ١٠- إخراج النص مصححاً ومحققاً مع ما يحتاج إليه من التعليق والتوسع إضافة إلى بيان وهم المصنف في مواضع عديدة .

والحمد لله رب العالمين ،،،

الطالب : علي عمر بادحدح　　المشرف : د. عبدالمجيد محمود عبدالمجيد　　عميد الكلية : د. عبدالله الدميجي

الإهداء..

إلى والدي

المحبِّ للعلم والعلماء

إلى والدتي

المداومة على التلاوة والدعاء

إلى زوجتي

الحافظة للزوج الراعية للأبناء

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

جعل الله بعض خلقه سبباً في وصول نعمه إلى عباده ، ، إذ يصدر من الفضلاء الخير والاحسان ، فيقابل بالشكر والامتنان ، ولا يستغني أحد عن معونة غيره ، مهما تهيأ له من أسباب القوة والقدرة .

الناس للناس من بدو وحاضرة بعض لبعض وإن لم يشعروا خدم

والإنسان بفطرته مجبول على الشكر لمن يبذل له المعروف ويقدم له العون ، والمسلم يرى ذلك من خصائص إسلامه وسمات إيمانه ، ويدرك أن الشكر حافظ النعم ، وجالب المودة ، ومديم المعروف .

وإن الذين أحسنوا إليَّ وأعانوني في هذا البحث كثيرون ، لهم علي حقوق كثيرة يعجز شكري - مهما بلغ - عن أدائها ، ولهم محاسن جليلة يعجز ثنائي - مهما عظم - عن بيانها ، ولذا آثرت أن انصرف عن الثناء عليهم إلى الدعاء لهم ، ووكلت الإخبار عن فضائلهم إلى علم الناس بهم ، وحسبي أن أشكرهم بالقليل من الكلمات ، وفاء لحقهم وأداءً لشكرهم ، فجزاهم الله خير الجزاء ، وبلغهم مراتب الرفعة والعلاء .

وبعد إجمال الشكر ، انتقل إلى التخصيص بالذكر ، وأول من أخصه بمزيد شكري وعظيم ثنائي ، ووافر امتناني ، أستاذي الدكتور عبد المجيد محمود عبد المجيد ، الذي وسع حلمه تقصيري ، وصوّب علمه رأيي ، ووجدت فيه الأب الموجّه ، والأستاذ المسدِّد ، والعالم المرشِد ، فله مني أبلغ الثناء ، وأخلص الدعاء .

وأشكر أخي وزميلي الشيخ محمد باجابر الذي أتاح لي تصوير إحدى النسخ المخطوطة للكتاب ، وأمدني بنسخة من رسالته التي نال بها درجة الماجستير وعنوانها « الإمام الزيلعي محدثاً »، كما أعارني ميكروفلم كتاب الزيلعي « مختصر شرح معاني الآثار » فكان له بذلك أيادٍ بيضاء تذكر فتشكر .

ولا يفوتني أن أشكر مركز إحياء التراث الإسلامي ومديره الدكتور مطر الزهراني ، والأخ الفاضل الأستاذ عدنان القيسي الذي أكن له كل محبة وتقدير لمساعدته للباحثين .

وأختم شكري بمن ساعدوني في بعض الأعمال سيما الفهارس والمراجعة ونحو ذلك وأخص منهم الأستاذين الفاضلين سالم بامطرف ، وأنس الأحمدي ، والطالبين النجيبين محمد النهدي وعبد الرحمن بن حلي .

والله أسأل أن يجزي خير الجزء كل من كان له نوع إعانه ، وبعض إفادة في إعدادي لهذا البحث ، والشكر لله أولاً وآخراً .

والحمد لله رب العالمين

البقرة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله المستعان به على نوائب الدهر ، المستعاذ به من كل شر ، المستفتح باسمه في كل أمر ، الموصوف بصفات الكمال ، المتفرد بالعزة والجلال ، المنزه عن الند والمثال ، المقدِّر للأرزاق والآجال ، المتصرِّف في الأمور والأحوال ، المحمود في كل آن وعلى كل حال ، سبحانه لا نحصي ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه ، هو أهل الحمد والثناء ، أحمده - جل وعلا - حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ، ملء السموات والأرض وملء ما بينهما وملء ما شاء من شيء بعد ، أحمده على آلائه ونعمه التي لا تعد ولا تحصى ، حمداً كما يحب - سبحانه - ويرضى ، أحمده على ما جلَّ وعلى ما قلَّ ، وعلى ما خفي وعلى ما ظهر ، فله الحمد في الأولى والآخرة ، حمداً أنال به أجراً ، وأجعله عنده ذخراً ، فلله الحمد والمنة والفضل سبحانه ما أعظم حلمه بعد علمه ، وما أوسع عفوه بعد قدرته ، تقدست أسماؤه ، وجل ثناؤه ، وعظم عطاؤه ، وتكاثرت آلاؤه ، فله الحمد كما يليق بجلاله وعظيم سلطانه .

والصلاة والسلام على سيد ولد آدم أجمعين ، خاتم الأنبياء والمرسلين ، المرسل للناس أجمعين ، المبعوث رحمة للعالمين ، نبينا محمد الصادق الوعد الأمين ، وعلى آله وصحبه الغر الميامين ، وأتباعهم الأبرار المتقين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد ،

فإن علوم الشرع حياة القلوب ، وسكينة النفوس ، ونور العقول ، وهداية البصائر ، وبها تعرف الأحكام ، وتُهذب الأخلاق ، وتصلُح الأحوال ، وهي الطريق إلى النجاح في الدنيا ، والفلاح في الآخرة ، ﴿ **من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ، ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون** ﴾ (١) .

---

(١) سورة النحل ، آية (٩٧) .

والسنة المشرفة - الأصل الثاني في الإسلام - تبرز هدي رسول الله ﷺ ، وتروي سيرته العطرة ، وتذكر أقواله الحكيمه ، وجوامع كلمه البليغة ، فتظهر للمسلم جوانب القدوة في حياة المصطفى ﷺ تحقيقاً لقول الله تعالى ﴿ **لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً** ﴾[1] ، وحينئذ ما على المسلم إلا أن يتبع خُطاه ، ويتأسى بسيرته ، ويلتزم سنته ليحظى بموعود الله ﴿ **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم** ﴾[2] .

ومن نعمة الله أن هيأ لخدمة السنة رجالاً من صفوة الأمة إيماناً وإخلاصاً ، ومن أسرعهم فطنة ، وأكثرهم حفظاً ، وأرجحهم عقلاً ، وأعظمهم همة ، فانتدبوا أنفسهم لحفظها وروايتها ، وأطالوا في طلبها الأسفار ، ورحلوا في تحصيلها بالليل والنهار ، وذبوا عنها الكذب والانتحال ، وتكلموا في العلل والرجال ، وعمدوا إلى تدوينها وتصنيفها ، وتمييز صحيحها وضعيفها ، فكثرت المصنفات في السنة ، وتعددت أنواع علومها ، حتى غدا كل واحد منها علماً قائماً برأسه ، له قواعده وضوابطه ، وكتبه ومصنفاته ، ووصلت إلينا - من جهود المحدثين على مر العصور - ثروة عظيمة هائلة ، تبرز جلالة علوم السنة وسعتها ، وتكشف عن مناهج علمية دقيقة ، وعبقرية ذهنية فريدة .

ومن علوم السنة علم التخريج[3] الذي يُعنى بعزو الأحاديث إلى مصادرها الأصلية ، من أمهات الكتب المروية ، ويعرج على ذكر طرقها وشواهدها ، ويبين ألفاظها ورواياتها ، ويشير إلى صحتها وضعفها ، فهو يشتمل على علوم متعددة من علوم السنة ، ويحتاج إلى اطلاع واسع ، ودراية كبيرة ، ودقة متناهية .

والمطالع في كتب التخريج يرى صورة واضحة زاهية للجهود التي بذلها المحدثون في شتى الجوانب خدمة للسنة من ناحية الرواية ، وضبط الألفاظ ، ومعرفة التصحيفات ومعرفة المتفق والمفترق والمؤتلف والمختلف ، وجرح الرواة وتعديلهم ، وعلل الأسانيد والمتون ، إلى غير ذلك مما يعجب له المرء .

---

(١) سورة الأحزاب آية (٢١) . (٢) سورة آل عمران ، آية (٣١) .

(٣) سيأتي الحديث عن علم التخريج في الفصل الأول من الباب الثالث (ص : ١٤٠) .

وكنت في مراحل دراستي أطالع في كتب التخريج فأنجذب إليها وأعجب بها وأعدها نموذجاً يدل على جلالة مصنفيها ، وشاهداً على منتهى العناية التي حظيت بها السنة ، ومن بين هذه الكتب كنت أرجع كثيراً إلى (نصب الراية في تخريج أحاديث الهداية) للزيلعي ، وإلى (تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير) لابن حجر ، وهما من أشهر كتب الفن وأوسعها ، فزادت مطالعتي في الكتابين شغفي بالتخريج ، وعندما كنت بمصر في أثناء رحلة علمية في مرحلة الماجستير وقفت على مخطوط (تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الكشاف للزمشخري) ، تخريج الزيلعي ، ضمن مصورات معهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية ، فطالعت فيه وقرأت منه قسماً ، فوقع من نفسي موقعاً ، وأضمرت منذ ذلك الحين أن أجعل دراسة الكتاب وتحقيق قسم منه موضوعاً لرسالتي في مرحلة الدكتوراة .

ورغم أنني لم أكمل رسالة الماجستير إلا بعد عام من ذلك الإطلاع ، ثم توقفت عامين قبل ابتعاثي مرة أخرى لنيل درجة الدكتوراة ، رغم ذلك الزمن الذي زاد على ثلاث سنوات بقيت متعلقاً بالموضوع ، راجياً من الله تعالى ألا يسبقني إليه أحد ، فحقق الله الرجاء ، وأنفذتُ النية المضمرة ، إذ سجلت موضوعي للدكتوراة بعنوان «كتاب تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الكشاف للزمخشري - تأليف : الزيلعي دراسة وتحقيق من أول سورة الفاتحة إلى نهاية سورة المائدة » وها أنذا أكتب مقدمة الرسالة وأشير إلى أسباب اختيار الموضوع وخطة البحث .

*** أسباب اختيار الموضوع :**

١ - الرغبة في العمل في مجال التحقيق بعد أن كانت رسالتي في الماجستير في مجال الموضوعات البحثية .

٢ - شمول كتب التخريج لكثير من علوم الحديث رواية ودراية ، وكثرة مصادرها من كتب السنة .

٣ - جلالة الإمام الزيلعي واشتهاره بالتصنيف في علم التخريج ، وإمامته فيه واعتماد العلماء عليه ، كما هو معروف مشهور عن كتابه نصب الراية .

٤ - جمع الكتاب بين علم التفسير و علم الحديث لكونه في تخريج أحاديث كتاب في التفسير .

٥ - ندرة الكتب المطبوعة في تخريج أحاديث التفسير ، إذ لا أعلم كتاباً مطبوعاً في هذا المجال سوى « الفتح السماوي في تخريج أحاديث تفسير البيضاوي » .

* **خطة البحث :**

قسمت الرسالة إلى ثلاثة أقسام وهي :

١ - قسم الدراسة ٢ - قسم التحقيق ٣ - قسم الملاحق والفهارس

* **أما الدراسة فقد جعلتها في ثلاثة أبوب على النحو التالي :**

الباب الأول : الزمخشري وكتابه الكشاف

وفيه فصلان :

الفصل الأول : (عصر الزمخشري وحياته)

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : عصر الزمخشري .

المبحث الثاني : حياة الزمخشري .

الفصل الثاني : (كتاب الكشاف للزمخشري)

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : البلاغة في الكشاف .

المبحث الثاني : الإعتزال في الكشاف .

المبحث الثالث : الحديث في الكشاف .

الباب الثاني :عصر الزيلعي وحياته :

وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : (عصر الزيلعي)

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : الناحية السياسية .

المبحث الثاني : الناحية العلمية .

الفصل الثاني : (حياة الزيلعي الشخصية)

وفيه خمسة مباحث :

المبحث الأول : نَسَبُه وكُنيتُه .

المبحث الثاني : لقبه ونسبته .

المبحث الثالث : عقيدته ومذهبه .

المبحث الرابع : أخلاقه وصفاته .

المبحث الخامس : ولادته ووفاته .

الفصل الثالث : (حياة الزيلعي العلمية)

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : شيوخه وتلاميذه .

المبحث الثاني : علومه ومعارفه .

المبحث الثالث : مؤلفاته .

الباب الثالث :دراسة كتاب الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف .

وفيه سبعة فصول :

الفصل الأول : (التعريف بالكتاب)

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : إسم الكتاب .

المبحث الثاني : نسبة الكتاب إلى المؤلف .

المبحث الثالث : موضوع الكتاب .

المبحث الرابع : سبب اختيار الكشاف .

الفصل الثاني : (مصادر الكتاب عرضاً وتحليلاً)

وفيه مبحثان :

المبحث الأول :عرض مصادر الزيلعي في الكتاب .

المبحث الثاني : نظرة تحليلية في مصادر الزيلعي .

الفصل الثالث : (منهج الزيلعي في عرض مادة الكتاب)

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : ترتيب الكتاب وتراجمة .

المبحث الثاني : ترقيم الأحاديث .

المبحث الثالث : عرض النصوص .

الفصل الرابع : (منهج الزيلعي في التخريج في الكتاب)

وفيه أحد عشر مبحثاً :

المبحث الأول : استخراج النصوص .

المبحث الثاني : تخريج ما ذكر فيه الرُّواة من الصحابة .

المبحث الثالث : تخريج ما لم يُذكر فيه الرواة من الصحابة .

المبحث الرابع : تقديم الصحيحين والعناية بهما .

المبحث الخامس : تقديم الكتب الستة والعناية بها .

المبحث السادس : تحديد مواضع النصوص في المصادر .

المبحث السابع : العناية بذكر الطرق والأسانيد .

المبحث الثامن : العناية ببيان المرسل والموصول والموقوف والمرفوع .

المبحث التاسع : العناية بالألفاظ وبيان اتفاقها واختلافها .

المبحث العاشر : الإحالات في التخريج .

المبحث الحادي عشر : ما ترك تخريجه من النصوص .

الفصل الخامس : (منهج الزيلعي في نقد أحاديث الكتاب)

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : مفهوم النقد ومادته في الكتاب .

المبحث الثاني : معرفته بالرواة ونقدهم .

المبحث الثالث : الحكم على الأحاديث .

الفصل السادس : (الفوائد سوى التخريج والنقد)

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : غريب الحديث .

المبحث الثاني : شرح الأحاديث .

المبحث الثالث : التعليقات اللغوية .

الفصل السابع : (أهمية الكتاب وتأثيره)

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : أوَّلِيَّة الكتاب .

المبحث الثاني : مختصر ابن حجر .

المبحث الثالث : تأثير الكتاب في الفتح السماوي .

المبحث الرابع : تأثير الكتاب في تحفة الراوي .

- **أما النص المحقق فجعلت له مقدمة ذكرت فيها ما يأتي :**

أولاً : وصف النسخ المخطوطة .

ثانياً : نماذج من النسخ المخطوطة .

ثالثاً : النسخة المطبوعة للكتاب .

رابعاً : عملي في الكتاب .

- **أما قسم التحقيق** : فشمل النص المحقق من بداية سورة الفاتحة إلى نهاية سورة المائدة .

وجعلت في آخر الرسالة خاتمة لخصت فيها أهم النتائج والتوصيات .

- **أما الملاحق والفهارس فهي كالتالي :**

الملحق الأول : ثبت المصادر ومواضعها في الكتاب .

الملحق الثاني : الأحاديث والآثار الساقطة من التخريج .

الملحق الثالث : المقارنة بين الأحاديث والآثار في تفسير الزمخشري وتفسير البيضاوي .

والفهارس ثلاثة كالملاحق وهي :

١ - فهرس الآيات القرآنية . ٢ - فهرس الأحاديث .

٣ - فهرس الآثار .

وما سبق ذكره حصاد عدة سنوات قضيتها في البحث مع هذا الكتاب النفيس ، ومع أحاديث المصطفى ﷺ وآثار صحابته الكرام ، وقد بذلت جهدي ما استطعت إلى ذلك سبيلاً ، وما ادخرت في سبيل التجويد والإتقان وقتاً ولا جهداً ، وهذه ثمرة جهدي ، أقدمها مع علمي بأنني ما وفيت الموضوع حقه ، إذ العلم قليل ، والبضاعة مزجاة ، والزمان شاغل ، والعوارض كثيرة ، فما كان من إصابة وإجادة ففضل من الله وتوفيق ، وما كان من خلل وخطأ فتفريط مني وتقصير ، ومن وجد في هذا العمل

نفعاً فأرجو أن لا يحرمني من دعوة صالحة ، ومن وجد فيه نقصاً فعسى أن يسدده ويكمله بنصيحة خالصة ، وما زال أهل العلم وطلابه يستدرك بعضهم على بعض ، ويخطِّىء بعضهم بعضاً ، والقلوب سليمة متآلفة ، وإصابة الحق وإرادة الصواب هي المقصود المأمول .

والله أسأل أن يعاملني بما هو أهله لا بما أنا أهله ، وأن يكرمني بفضله مع عدله ، وأن يمن عليَّ بتوفيقه مع عفوه ، وأن يعلمني ما ينفعني ، وأن يزيدني علماً نافعاً وعملاً صالحاً ، والله المستعان ، وعليه التكلان .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

وكتبه

علي بن عمر بن أحمد بادحدح

مكة المكرمة - الحرم المكي الشريف
الإثنين ٢٦/ ٢/ ١٤١٦هـ

الباب الأول

الزمخشري

وكتابه الكشاف

وفيه فصلان

الفصل الأول : عصر الزمخشري وحياته .

الفصل الثاني : كتاب الكشاف للزمخشري .

الفصل الأول

عصر الزمخشري وحياته

وفيه مبحثان

المبحث الأول : عصر الزمخشري .

المبحث الثاني : حياة الزمخشري .

الحديث عن الزمخشري ليس مقصوداً أساسياً في البحث، لكنه لما كان صاحب الأصل الذي خرّج الزيلعي أحاديث وآثار كتابه الكشاف كان من المناسب إيراد ترجمة موجزة لشخصيته، وتعريف مختصر بكتابه ليتم تسليط الضوء على المعلومات المهمة المفيدة بشكل عام، مع التركيز بشكل خاص على ماله صلة بموضوع البحث، وذلك من خلال الفصول والمباحث التالية التي تعتبر مدخلاً للبحث.

المبحث الأول
عصر الزمخشري

البيئة المحيطة لها أثرها على الإنسان، فاستقرار الحكم واستتباب الأمن يتوفر فيهما من الفرص مالا يكون في أزمنة الانقسام والاضطراب وكثرة الحروب.

ووجود التشجيع على العلم وتيسير أسبابه، وتوفير أربابه، وإعانة طلابه، يحصل به من الأثر مالا يكون مع انعدام أو ضعف هذه العناصر، وهكذا فإن التفاعل مع الواقع والاستثمار لإيجابياته له دوره الذي لاينكر في التأثير على شخصية الإنسان بقدر يقل أو يكثر بحسب قوة الشخصية، وعلو الهمة، وكثرة البذل.

وهذه إلمامة موجزة عن البيئة السياسية والعلمية في عصر الزمخشري:

أولاً: البيئة السياسية:

كانت حياة الزمخشري ما بين سنة (٤٦٧هـ) وسنة (٥٣٨هـ) في الفترة الأخيرة للخلافة العباسية، وهي فترة الضعف والانقسام التي كثرت فيها الدويلات، وتعاظمت الفتن، واشتعلت نيران الحروب، وكان ذلك أثراً من آثار ضعف الخلافة، وذهاب هيبة الخلفاء، وبعدهم عن حقيقة الولاية والقيام بشؤون الدولة ورعاية الرعية.

وقد عاصر الزمخشري خمسة من الخلفاء العباسيين وهم:

١ - المقتدي بأمر الله (٤٦٤هـ - ٤٨٧هـ)[١].

٢ - المستظهر بالله (٤٨٧هـ - ٥١٢هـ)[٢].

٣ - المسترشد بالله (٥١٢هـ - ٥٢٩هـ)[٣].

٤ - الراشد بالله (٥٢٩هـ - ٥٢٩هـ)[٤].

٥ - المقتفي بالله (٥٢٩هـ - ٥٥٥هـ)[٥].

وهذه الفترة التاريخية شهدت قوة وامتداد نفوذ دولة السلاجقة التي جاءت بعد البويهيين.

والسلاجقة ينتمون إلى قبائل الأوغوز التي اشتهرت باسم "الغز"[٦] ونسبتهم إلى سلجوق بن دقاق الذي أسلم وقاد قبيلته في محاربة الدولة الغزنوية، ويعد طغرلبك أحد أبناء سلجوق مؤسس الدولة السلجوقية التي يؤرخ قيامها باستيلائه على نيسابور في شهر ذي القعدة من عام (٤٢٩هـ)[٧]، ويؤرخ سقوطها بمقتل طغرل بن أرسلان المسمى طغرل الثالث وذلك في منتصف عام (٥٩٠هـ) على يد جيش خوارزم الذي انتصر في معركة قرب الري ودخل إلى همذان عاصمة السلاجقة وفتحها مؤذناً بسقوط دولة السلاجقة[٨].

---

(١) انظر الكامل (٨/ ١٢٠)، البداية والنهاية (١٢/ ١١٠)، تاريخ الخلفاء للسيوطي (ص: ٤٢٣).

(٢) انظر الكامل (٨/ ١٧٠)، البداية والنهاية (١٢/ ١٤٦)، تاريخ الخلفاء للسيوطي (ص: ٤٢٦).

(٣) انظر الكامل (٨/ ٢٧١)، البداية والنهاية (١٢/ ١٨٢)، تاريخ الخلفاء للسيوطي (ص: ٤٣٦).

(٤) انظر الكامل (٨/ ٣٤٨)، البداية والنهاية (١٢/ ٢٠٩)، تاريخ الخلفاء للسيوطي (ص: ٤٣٦).

(٥) انظر الكامل (٨/ ٣٥٤)، البداية والنهاية (١٢/ ٢١٠)، تاريخ الخلفاء للسيوطي (ص: ٤٣٧).

(٦) انظر تاريخ إيران والعراق في العصر السلجوقي (ص: ٢٤).

(٧) انظر الكامل (٨/ ١٥)، البداية والنهاية (١٢/ ٤٣).

(٨) انظر تاريخ العراق وإيران في العصر السلجوقي (ص: ١٥٥-١٥٧).

وكانت الحركة السنية نشطة في ظل الدولة السلجوقية التي حاربت التشيع والاعتزال وأخذت بالسنة، وكان لنظام الملك أحد مشاهير وزراء السلاجقة دور بارز في بناء المدارس العلمية وإقامة الأوقاف عليها في كثير من المدن حيث «بنى مدرسة ببغداد ومدرسة ببلخ، ومدرسة بنيسابور، ومدرسة بالموصل»[1] وقد سميت هذه المدارس بالمدارس النظامية نسبة إلى نظام الملك المذكور الذي «كان عالماً ديناً جواداً عادلاً كثير الصفح عن المذنبين، طويل الصمت، وكان مجلسه عامراً بالقراء والفقهاء وأئمة المسلمين وأهل الخير والصلاح، وأمر ببناء المدارس في سائر الأمصار والبلاد، وأجرى لها الجرايات العظيمة وأملى الحديث بالبلاد»[2].

وبالجملة فقد كان من محاسن ملوك السلاجقة تشجيعهم للعلم، وتقديرهم للعلماء.

وأما خوارزم مسقط رأس الزمخشري فقد نشأت بها الدولة الخوارزمية عام ٤٧٠هـ وتوسع ملكها حتى انطوى تحت لوائها معظم بلاد السلاجقة ودامت حتى عام (٦٢٨هـ)، وهي بلاد علم، «والذين ينسبون إليها من الأعلام والعلماء لا يحصون»[3].

ثانياً: البيئة العلمية:

زخر عصر الزمخشري بأئمة العلماء، وأجلّة الفقهاء، ومشاهير الأدباء ففي التفسير برز أبو الحسن علي بن محمد الواحدي (ت: ٤٦٨هـ)[4]، وأبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٦هـ)[5]، وكلاهما كان يكثر النقل عن أبي إسحاق أحمد بن محمد الثعلبي (ت: ٤٢٧هـ)[6]، وقد استفاد الزمخشري من كتبهم.

---

(١) طبقات الشافعية للسبكي (٤/ ٣١٣).
(٢) الكامل (٨/ ١٦٢).
(٣) معجم البلدان (٢/ ٣٩٨).
(٤) ستأتي ترجمته (ص: ١٥٥).
(٥) ستأتي ترجمته (ص: ١٥٦).
(٦) ستأتي ترجمته (ص: ١٥٥).

وفي الحديث ظهر قوام السنة أبو القاسم إسماعيل بن محمد الأصبهاني (ت: ٥٣٥هـ) صاحب "الترغيب والترهيب"[١] ومحيي السنة البغوي صاحب "المصابيح" و "شرح السنة"، وأبو عبدالله محمد بن علي بن عمر المازري (ت: ٥٣٦هـ) صاحب "المعلم بفوائد شرح مسلم"[٢]، والقاضي عياض اليحصبي (ت: ٥٠٤هـ) صاحب "إكمال المعلم" و "الشفا" و "مشارق الأنوار"[٣]، والمحدث شيرويه بن شهر دار الديلمي (ت: ٥٠٩هـ) صاحب "الفردوس"[٤]، وغيرهم من المحدثين الكبار.

وفي الفقه كان هناك أبو طالب الحسين بن محمد الزيني (ت: ٥١٢هـ) شيخ الحنفية بالعرق[٥]، وكذا قاضي القضاة أبو الحسن علي بن محمد الدامغاني (ت: ٥١٣هـ)[٦].

ومن المالكية صاحب النكت والفروق لمسائل المدونة أبو محمد عبدالحق بن محمد السهمي (ت: ٤٦٦)[٧]، وأبو القاسم أصبغ بن محمد القرطبي (ت: ٥٠٥)[٨].

وعند الشافعية علا ذكر إمام الحرمين أبي المعالي عبدالملك بن عبدالله بن يوسف الجويني (ت: ٤٧٨هـ)، صاحب "نهاية المطلب في المذهب"[٩] وكذا أبو حامد محمد الغزالي (ت: ٥٠٥هـ) صاحب "الوسيط" "و المستصفى"[١٠].

---

(١) انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (٢٠/ ٨٠)، البداية والنهاية (١٢/ ٢١٧).
(٢) انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (٢٠/ ١٠٤) - الديباج المذهب (٢/ ٢٥٠).
(٣) ستأتي ترجمته (ص: ٢٠٥).
(٤) ستأتي ترجمته (ص: ١٨٥).
(٥) انظر ترجمته في شذرات الذهب (٤/ ٣٤).
(٦) انظر ترجمته في شذرات الذهب (٤/ ٤٠)، البداية والنهاية (١٢/ ١٨٥).
(٧) انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٨/ ٣٠١).
(٨) انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (٩/ ٣١٢)، الصلة (١/ ١٠٩).
(٩) انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٨/ ٤٦٨)، طبقات السبكي (٥/ ١٦٥).
(١٠) ستأتي ترجمته (ص: ٢٠٥).